مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

ثورة العشرين بين رؤيتين غربية وعراقية
قراءة في نماذج

أ.م.د. قاسم عبد الأمير وسيم(*)

مقدمة

أكتسب العراق أهمية استثنائية في الخطط الاستراتيجية البريطانية منذ وقت مبكر، وبرزت وازدادت هذهِ الأهمية مع بداية القرن العشرين، مع اكتشاف النفط وتصاعد الصراع الاستعماري، وصولًا إلى الحرب العالمية الأولى، وقيام بريطانيا باستمالة الوطنيين العرب بتقديم وعود الحرية والاستقلال بعد إنهاء الحكم العثماني.

تمكنت بريطانيا وحلفائها من هزيمة دول الوسط ومن ضمنها الدولة العثمانية التي آلت ممتلكاتها إلى بريطانيا وفرنسا، وبموجب ذلك أصبح العراق واقعًا تحت الاحتلال البريطاني، الذي أغدق على العراقيين كيلًا من الوعود بالحرية والاستقلال قبيل الحرب وأثنائها، وما تصريح الجنرال مود "جئناكم محررين لا فاتحين" مصداقًا لتلك الوعود التي أخلفتها بريطانيا بعد عام ١٩١٨، وتجاهلها لبنود الرئيس الأمريكي ولسن التي اقرت "حق تقرير المصير".

أثناء ذلك شهد العراق بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠ نشوء حركة وطنية تأثرت بالمتغيرات الدولية التي نجمت عن الحرب العالمية الأولى ونتائجها، فضلًا عن ذلك شهد العراق أيضًا تطورًا واضحًا في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية، تبلور عنها رؤية عراقية لمستقبل العراق السياسي، وعلاقاته مع بريطانيا في ظل تلك التطورات، التي أدت بمجملها إلى اندلاع الثورة العشرين لتحصيل حقوق العراق بالحرية والاستقلال.

ومهما كانت أسباب ثورة العشرين وبواعثها، فقد اختلفت الرؤية التي قدمها الباحثين الغربيين، سيما البريطانيين للأحداث التي وقعت في صيف عام ١٩٢٠، وجاء تفسيرها وتحليلها وفق النظرة الاستعمارية الدونية للشعوب المستعمرة، أو كما يصفونها بالمتخلفة، على العكس من ذلك قدم العراقيون رؤيتهم الخاصة بأحداث ثورة العشرين التي تنبع بواعثها من توجهاتهم الوطنية والقومية والموضوعية للأحداث.

(*) الجامعة المستنصرية / كلية التربية .
dr.qassimalwassim@uomustansiriyah.edu.iq

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

وهنا تكمن أهمية الموضوع، إذ أن اختلاف الرؤيتين الغربية والعراقية لأحداث ثورة العشرين وبواعثها، فضلًا عن ذلك اختلاف التحليلات والتفسيرات الموضوعية لتلك الأحداث. أن هذا البحث يسلط الضوء على أحداث الثورة وتقديم تصوير شامل للرؤيتين الغربية والعراقية الأحداث ثورة العشرين، وأخضاعها لمقارنة تاريخية تحليلية، وفق منهجية علمية محددة لتفسير هذهِ الرؤى وتوضيحها.

في ضوء ذلك قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة موضوعات وخاتمة، تناول الموضوع الأول طبيعة مسار الثورة وأسبابها، فضلًا عن ذلك استعراض الموضوع الثاني أحداث ثورة العشرين ونتائجها، فيما عالج الموضوع الثالث مقارنة تاريخية بين الرؤية الغربية والعراقية للثورة، أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر باللغة العربية والمعربة، كان في مقدمتها كتاب الحاكم البريطاني في العراق أرنولد ويلسن المعنون " الثورة العراقية " وغطى جوانب مهمة في موضوعات هذا البحث كافة، بل أنه كان بمثابة العمود الفقري لهذا البحث، كون ويلسن نفسه كان الحاكم البريطاني في العراق خلال الاطار الزمني للبحث، وشاهد عيان لأحداث الثورة، فضلًا عن ذلك كان لكتاب مس بيل المعنون " فصول من تاريخ العراق القريب "، أهمية لا تقل عن سابقه، وغطى أيضًا موضوعات البحث كافة، وتضمن معلومات قيمة، ما كان للباحث أن يحصل عليها من مصادر أخرى. أما كتاب عبد الرزاق الحسني المعنون "الثورة العراقية الكبرى "، فقد ضاها تلك الأهمية أن لم يتفوق عليها، وغطى جوانب مهمة من مواضيع البحث، لما يحتويه على مادة وثائقية وأحداث بارزة مثلت الشريان الحيوي لهذا البحث، وما كان للباحث أن يحصل عليها من مصادر عراقية أخرى.

طبيعة مسار الثورة وأسبابها

خضع العراق للسيطرة العثمانية لأربعة قرون ونيف، عانى فيها الأمرين، ووسم تاريخ العراق آنذاك بالانحطاط السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي، فضلًا عن ذلك امتازت تلك المرحلة بالرفض الدائم وعدم المقبولية للسياسة العثمانية، وشهدت الولايات العراقية الثلاثة بغداد والموصل والبصرة، انتفاضات عشائرية مستمرة قارعة الدولة العثمانية طوال سنين سيطرتها على العراق[1].

وبحكم تلك العوامل مجتمعة، كانت العشائر العراقية معارضة «للحكومات المنظمة»، ورافضة «تشكيل حكومة موحدة» سيما بعد فشل الأتراك بزرع الفتنة بين تلك القبائل لأضعافها، مما دفع بريطانيا بعد احتلالها للعراق إلى أتباع سياسة قوامها، تقوية نفوذ شيوخ معنيين من قبلها، يدينون لها بالولاء، لتسهل مهم السيطرة على تلك القبائل، وتحقيق الاستقرار المحلي من خلال وضع آلية لحل الخلافات والنزاعات القبيلة القديمة[2].

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

أرادت بريطانيا من سياستها تلك الحصول على الأموال اللازمة لتجهيز حملتها في العراق بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ومن أجل ذلك التجأت إلى شتى الاساليب والطرق «التي يخلوا بعضها من أي أخلاق أو مشاعر إنسانية»، ومن قبيل ذلك سمحت بمنح إجازات خاصة لبيع الترياق في مدينة البصرة، فضلًا عن ذلك فرض رسوم على دفن الموتى، وقد حققت بريطانيا من ذلك أرباح عالية، وأيضًا فرضت رسوم على الحجر الصحي «الكرنتينة»، كما اخترعت ضرائب أخرى لا تمت للواقع العراقي بصلة، مثل جمع تبرعات لبناء الملاجئ في بريطانيا أو بناء تماثيل لقادتها ممن شارك في الحرب العالمية الأولى وغيرها[٣].

ألا نكى والأمر من ذلك فرضت طبيعة السياسة الاستعمارية البريطانية في العراق، على المواطنين المشاركة في مجهودها الحربي، وفرضت قواتها أعمال السخرة والتجنيد الإجباري على المواطنين المدنيين، فضلًا عن استنزاف الموارد الاقتصادية المتاحة، والأيدي العاملة في بناء سكك الحديد ونقل المعدات العسكرية، مما أرهق كاهل المواطن وأضر بالاقتصاد المتهالك أصلا[٤].

ناقضت هذهِ السياسة التعهدات البريطانية التي قدمتها للعراقيين خلال الحرب العالمية الأولى، ومن جانب آخر آثارت مشاعر الكراهية والرفض للوجود البريطانيا في العراق، وعززت من الشعور الوطني بضرورة جلاء قواتها وتأسيس حكومة وطنية[٥]، إذ لم يعر البريطانيون أي احترام لشخص الفرد العراقي، متناسين نزعته العربية المعارضة للظلم، الذي لجأت إليه القوات البريطانية، وفرضها نظام السخرة وإجبار الفلاحيين وهم سواد الشعب العراقي آنذاك، بالعمل في بناء السدود وسكك الحديد، حتى بات هذهِ الأسلوب متبع من القادة البريطانيين للتنكيل ببعض العشائر المناوئة لهم والمعارضة لسياستهم، حتى وأن كانت تلك الاعمال تصب في مصلحة تلك العشائر[٦].

وفي الأحوال كافة كان البريطانيون يعملون كمستعمرين بالدرجة الأولى، ولم تكن وعودهم سوى حبر على ورق، وهذا ما أكده برسي كوكس صراحة عندما قال: أن بريطانيا حتى وأن أستجابة لمطالب الشعب العراقي، لكنها لم ولن تتنازل عن مطامعها الاستعمارية، وأبقاء العراق تحت سيطرتها المباشرة حتى بعد الاستقلال الذي «لا يمكن فهمه كاستقلال دون انتداب»، بمعنى آخر بقاء سلطتها على العراق وعدم التخلي عن مكاسبها الاستعمارية[٧]، حتى بعد توارد التحذيرات إلى القيادة البريطانية في العراق منذ تشرين الأول ١٩١٩، بخطورة وضع الإدارة البريطانية، والرفض الشعبي للانتداب، وإجبار العراقيين على دفع الضرائب وتنفيذ المشاريع الاستعمارية[٨]، وجلها مشاريع اقتصادية تهدف إلى توفير الأموال اللازمة لدفع مصروفات الإدارة البريطانية في العراق.

وفي هذا السياق وظفت بريطانيا أكثر من (٥٢٠) موظف بريطاني في المناصب المهمة حتى

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

آب ١٩٢٠، فضلًا عن ذلك إعادة شيوخ العشائر الموالين لها، ممن طردوا قبيل الاحتلال إلى مناصبهم في مناطق سوق الشيوخ وكربلاء والنجف وغيرها من المناطق وتم ذلك بالدهاء والحيلة تارة، وتارة أخرى باستخدام القوة العسكرية[٩]، مما يمثل تحديًا الإرادة العراقيين وعاداتهم وتقالديهم الاجتماعية.

لم يستوعب الحكام العسكريين البريطانيين في الولايات والمدن العراقية التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أفرزتها الحرب العالمية الأولى في الأعوام ١٩١٨ و١٩٢٠، إذ رأى هؤلاء العسكريون أن العراقيين مجرد أقوام بدائية تعاملوا معهم «بكل احتقار وغرور حد الخشونة»، مما ولد رد فعل مناهض لوجودهم، سيما بعد تولي أرنولد ويلسن الذي امتاز بـ« شخصية طاغية « حتى أنه «كان يريد أن يحكم العراق حكمًا مباشرًا لمدة خمسة سنوات»، لأنه اعتقد أن العراقيين غير مؤهلين على ما يبدو لحكم أنفسهم[١٠].

وفي ظل تلك الظروف، وبعد تنصل بريطانيا عن وعودها، أتخذ الوطنيون استراتيجية ثنائية (سياسية وعسكرية)، بمواجهة السياسة البريطانية، اعتمدت العمل السياسي منهاجًا لها، من خلال تنظيم اجتماعات شعبية، وتحديدًا في الجوامع والحسينيات، واستغلال المناسبات الدينية وتجمع الأهالي لنشر الأفكار السياسية، وتحشيد القوى الشعبية للمطالبة بحقوقها، الأمر الذي دفع القوات البريطانية لمداهمة تلك التجمعات، سيما في جامع الحيدرخانة، بقيادة الحاكم العسكري البريطاني الذي تجاوز بألفاظه على المجتمعين، واشترط عليهم أن لا تكون تلك الأماكن ميدانًا للعمل السياسي[١١].

أرعبت تلك التجمعات في حفلات المولد النبوي والتهيج الجماهيري الذي قام به الوطنيون العراقيون في تلك المناسبات، حتى بات واضحًا لدى البريطانيين الرفض الشعبي لسياستهم التعسفية في العراق، فضلًا عن رفض الزعماء الوطنيين للدعوات البريطانية بالكف عن تجمعاتهم، لذا قامت السلطات البريطانية باعتقال ومطاردة هؤلاء الوطنيين بحجة الحفاظ على الأمن العام وعدم إثارة الاضطرابات[١٢].

وفي هذا الشأن أدعت مس بيل أن الهدف من قمع الحركة الوطنية في العراق، ليس من أجل سلامة القوات البريطانية، بل من أجل حماية المواطنين العراقيين، وضرورة العمل على وضع دستور باللغة العربية و» تشكيل دوائر عربية «، تحت إدارة السلطة البريطانية، ومواجهة الاجتماعات التي أقيمت في الجوامع «الشيعية والسنية» على حد سواء، كونها اجتماعات سياسية وليست دينية[١٣].

أدرك بيرسي كوكس بثاقب بصره خطورة الوضع في العراق، وأشار في تقريره الذي قدمه إلى وزارة الهند في ٢١ حزيران ١٩٢٠، إلى خطورة الوضع الداخلي، وطلب «إبقاء الوضع تحت السيطرة»، والعمل على عدم إثارة الشارع العراقي،

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

والعمل على تقريب «المعتدلين» إلى جانب بريطانيا، ومنحهم صفة قانونية ودستورية تسمح لهم التأثير على الحراك الشعبي وتحجيمه[١٤].

في الوقت نفسه استمرت بريطانيا في سياستها القمعية، واعتقلت نجل المرجع الأعلى محمد رضا وعدد من الوطنيين في كربلاء في ٢٢ حزيران ١٩٢٠، فضلًا عن عدد آخر في الحلة، وهم من الشخصيات البارزة وتم نفيهم إلى جزيرة هنجام، فيما عززت بريطانيا من دعمها لشيوخ العشائر الموالين لها[١٥]، وفي المجمل لم تمنع تلك الإجراءات من ارتفاع حدة التوتر، بالعكس فقد أزمت الوضع.

اعتقد ويلسن خطاءً أن مجرد وجود حلفاء أقوياء لبريطانيا من شيوخ عشائر وغيرهم، كفيل بوأد الثورة في مهدها، وأصر على جمع الضرائب وفرض الانتداب، والتمادي في اعتقال الوطنيين العراقيين، سيما المرزا محمد رضا الشيرازي، بعد دعوته إلى مظاهرات سلمية للحصول على الاستقلال بموجب «مضبطة توكيل»، مع مجموعة من الوطنيين في كربلاء والنجف، استجابة لتوجيهات المرجع الأعلى في النجف[١٦].

ومن الجدير بالذكر أن احتجاج المرجع الشيرازي على اعتقاله الوطنيين في كربلاء والحلة وبعض المدن العراقية، سبب تعارضه مع مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الأمر الذي أكده الشيرازي في رسالته للحاكم البريطاني في ٧٢ حزيران ١٩٢٠، وجاء في: «إن جلب العساكر لمقابلة الأشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعة والضرورية لحياتهم من الأمور غير مقبولة ولا تطابق أصول العدل والمنطق بوجه من الوجوده»[١٧]. في إشارة واضحة إلى سلمية الحراك الوطني ونزوحه إلى إلزام بريطانيا وعودها السابقة.

على العكس من ذلك أصرت سلطة الاحتلال البريطاني بريطانيا على سياستها، وعززت كوادرها الإدارية في العراق حتى بلغ عددهم (٦٥٠٠) موظف جلهم من البريطانيين والهنود، وتسنموا المناصب الإدارية العليا إجمالًا، فضلًا عن ذلك قررت تهجير ثلاثة ملايين هندي إلى العراق، وهو أحد الأخطاء السياسية لبريطانيا، وأحد أهم عوامل ثورة العشرين[١٨]، وربما يكون السبب الرئيسي والمباشر لتدخل المرجعية العليا، بعد اليأس من الحلول البريطانية، وتقدير حجم المخاطر التي تنطوي على التغيير الديمغرافي والسكاني والديني في العراق.

أنكر البريطانيون حق العراقيين بالحرية والاستقلال، وهيئوا بأنفسهم الظروف الموضوعية لانطلاق ثورة العشرين، التي عزا بعض الباحثين الغربيين أسبابها إلى عوامل فوقية وغير منطقية إلى حد ما، ولا تمت إلى الواقع العراقي بصلة، ومن بينها « التفسير الخاطئ لمفهوم الانتداب»[١٩]، وليس الرفض الشعبي الوطني الذي كان الانتداب أحد أهم الأسباب لتصاعد الحراك الوطني الرافض له.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

والغريب في الموضوع، أن بريطانيا تلمست أسباب ثورة العشرين وعرفت بواعثها، رغم ذلك لم تعر تلك الأسباب وبواعثها أي أهمية تذكر قبل أندلاع الثورة، على العكس من ذلك تمامًا، فقد حملت الوطنيين، سيما من الكوادر الإدارية السابقة في الدولة العثمانية، والمشاركين في الحكومة العربية في دمشق التي اقامها فيصل بن الحسين، مسؤولية ذلك الحراك الوطني، سواء كان ذلك سبب الأجحاف البريطاني أو الشعور بالغبن والأقصاء[٢٠]، على حد وصف المس بيل، التي أشارة في كلتا الحالتين بدقة إلى خطاء السياسة البريطانية في العراق.

تتكرر الصورة نفسها، عندما استهان البريطانيون بتاريخهم العسكري العريق، بالإمكانات العسكرية البسيطة للعراقيين، وتاريخ العشائر العراقية المقاومة للاستبداد العثماني، ورفضها الدائم لنظام التجنيد العسكري والسخرة ودفع الضرائب، إذ جسدت أسباب ثورة العشرين ومواقفها، الرد الوطني على السياسة البريطانية وتنصلها عن وعودها بالحرية والاستقلال، لذا كان تصاعد أحداث الثورة مفاجئة غير متوقعة لهم، مع ما يمتلكونه من آلة عسكرية عملاقة، مقارنة بما تمتلكهُ القوى الوطنية العراقية من أسلحة قديمة.

وبحكم تلك العوامل مجتمعة، تلبدت سماء العراق بغيوم الثورة التي بدأت بوادرها بحدوث «اضطرابات» بين أفراد العشائر في منطقة الفرات الاوسط في صيف عام ١٩٢٠[٢١]. إذ يؤكد المؤرخ الأمريكي ف. و. أيرلند الذي رأى أن أسباب ثورة العشرين، تكمن في سوء إدارة المندوب السامي البريطاني أرنولد ويلسن[٢٢]، وهنا اعترفت مس بيل أن أسباب الثورة تعود إلى العوامل دينية وقومية واقتصادية، كما عابت على ويلسن استخدام القوة المفرطة ضد الثوار مؤكدًا أنه «خيل له أن يتعامل مع الشعوب الهندية». مع ذلك رأت أن هذهِ القوة ضرورية لقمع الثورة[٢٣]، بحسب زعمها. وعدم الإشارة إلى تجاهل الدعوات التي جسدها بعض المراجع للتوسط بين قوات الاحتلال البريطانية والثوار، بعد أن حمل آية الله الشيرازي الضباط البريطانيين مسؤولية الأحداث الدامية التي شهدتها مناطق الفرات الأوسط، بعد اعتقال الشيخ شعلان أبو الجون شيخ قبيلة الظوالم في الرميثة تموز ١٩٢٠ والتي كانت السبب المباشر لاندلاع الثورة[٢٤].

أحداث ثورة العشرين ونتائجها

تغاضى ويلسن عن جميع الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها السياسة البريطانية في العراق، وعلق قائلًا أن سبب اندلاع الثورة هو سبب «تافه للغاية»، قصد بذلك اعتقال الشيخ شعلان أبو الجون الذي امتنع عن دفع الضرائب، مستغلًا بنود الانتداب التي نصت على عدم استخدام القوة المسلحة في العراق، فضلًا عن التوجيهات التي وصلته من النجف وكربلاء، القاضية بوقوف العشائر العراقية ضد الوجود البريطانية[٢٥]، حسب زعمه.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

وهـذا ما يتناقض مـع السياسـة البريطانية تجاه الحركـة الوطنية، التـي امتازت بالقسـوة والتشريد والنفي، فضلًا عن رفض ويلسـن لدعوات المرجع الشـيرازي للكـف عـن الممارسـات القمعيـة تجـاه الشـعب العراقي، وحقن الدماء، وعدم اسـتخدام القوة العسكرية ضدهم، الأمر الذي رفضه ويلسن وأصر على سياسته في محاربة الحركة الوطنية[٢٦].

وفي الأحـوال كافـة حقـق الثـوار انتصـارات عسـكرية باهـرة في مناطـق الفرات الأوسـط، بعد سـقوط الرميثـة والديوانيـة وأبي صخير والمسـيب بـين تمـوز وآب ١٩٢٠ بيـد ان الثـوار أجـبروا القـوات البريطانية على الانسـحاب إلى الحلة، بعد خسـائر عسـكرية جسـيمة، فضـلًا عـن ذلـك بدأ الحـراك الثـوري يأخـذ صـداه في مناطق عـدة من العراق، ووقوع حوادث متفرقة انتشرت منذ بداية الثورة[٢٧].

صهـرت ثـورة العشريـن الشـعب العراقي في بوتقة واحدة بمختلف أطيافه وطبقاته، إذ شاركت الجماهـير الفلاحيـة مع عـمال المدن وسـكان البدو في أحـداث الثـورة، تحـت قيـادة القـوى الوطنيـة مـن رؤسـاء العشـائر وعلـماء الديـن والبرجوازية الوطنيـة، الذين قادوا الفلاحين وهم جل الشـعب العراقـي آنـذاك، ووقـود تلـك الثـورة وعمودهـا الفقري بلا منازع، رغم عدم وصول تلك الجماهير الفلاحية إلى قيادة تلك الثورة[٢٨].

أثـارت تلك الانتصـارات التي حققهـا الثوار بعـد معـارك الرميثـة في ٢ تمـوز ١٩٢٠، مخـاوف البريطانيـين، إذ أكـد كوكـس أن أنبـاء الهزائـم البريطانيـة أحدثـت « حركـة هيـاج شـديد « بـين الصحفيـين البريطانيـين الذيـن طالبـوا حكومتهم بـضرورة سـحب قواتهـا مـن العـراق، وإيقـاف المصاريـف التي يدفعها الشـعب البريطاني لتجهيز قـوات بلادهـم، بعـد أن تكبدت خسـائر كثيرة في الارواح والمعدات في العراق[٢٩].

مـن جانبهـا قللـت مـس بيل مـن أهميـة تلك الانتصـارات، وأكـدت أن انسـحاب القـوات البريطانيـة وليـس هزائمهـا كـما هو معـروف، هو السـبب في اسـتمرار الثـورة واشـتعالها في مناطـق أخـرى، وذلـك لاعتقـاد تلـك العشـائر أن هـذا الانسـحاب يمثـل انتصـار لهـم وعامـل مسـاعد لاسـتمرار الثـورة، بمعنـى آخـر أن نجـاح الثورة واسـتمرارها مرهـون بالانسـحاب والتقهقـر العسـكري البريطـاني[٣٠]، الأمـر الـذي يتناقـض مع الحقائـق التاريخيـة التي أكدت هزيمـة القوات البريطانيـة وتكبدها خسـائر ماديـة وبشرية في أكثر من معركة.

في المقابـل كان للثـوار اسـتراتيجية عسـكرية مدروسـة، قوامهـا إجبـار القـوات البريطانية على التقهقـر والانسـحاب، واسـتغلال حالـة الإرباك بين صفوفها، من خلال فتح أكثر من جبهة في أكثر من مكان، ولاسـتحواذ عـلى الأسـلحة البريطانية ومعداتها، واسـتخدامها في المعـارك ضدهم، وهذا مـا أكدتـه وقائع الثـورة، فقد اسـتغل الثـوار تلك

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

الأسلحة في عدة جبهات، لمقاتلة القوات البريطانية القليلة والمنهكة أصلًا بعد الحرب العالمية الأولى.

وفي الإطار نفسه حاول ويلسن أن يبرر هزيمة قواته العسكرية التقليل من أهمية الانتصارات التي حققها الثوار، إذا راكد بإن الثوار كانوا يحصلون على المساعدة من «جواسيس من أمم أخرى» في إشارة للبلاشفة الروس، وأعطى للشيوعيين دور في توجيه الثورة ومعاركها، وبأنهم قدموا الأموال والهدايا للثوار، ليس فقط من أجل دحر بريطانيا وحسب، بل من أجل أنهاء الأقطاع أيضًا[٣١]، في محاولة لزرع التفرقة بين الفلاحين وشيوخ العشائر، وأثارة مخاوف رجال الدين.

على أية حال لم تحسم المعارك التي خاضها الثوار مسألة الاحتلال البريطاني، لكنها عززت من عقيدة الثوار وإيمانهم الوطني، إذ جسدت ثورة العشرين هذا المبدأ وأوقدت جذوة النضال التي تقوم على مبدأ الحرية والاستقلال، قبل الاعتداء والتخريب كما أشاع البريطانيون الذين وسموا الثورة بصفات لا تمت لها بصلة، بعد أن واجه الثوار الآلة العسكرية البريطانية بأسلحة بدائية « الفالة والمكوار «، وتمكنوا مدفوعين بوطنيتهم من تحقيق مكاسب عسكرية باهرة، باعتراف القادة البريطانيين أنفسهم، من الذين استكثروا على العراقيين حقهم في الاستقلال ومقارعة الظلم والاستعمار[٣٢].

في ضوء ذلك أجمعت الحكومة البريطانية وإدارتها في العراق على «وجوب قمع الثورة»، قبل المضي بإيجاد حل سياسي، يلبي مطالب العراقيين بالاستقلال، إذ بنا مخططوا السياسة البريطانية توجههم هذا على ضرورة الـ «تخلص من الخسائر التي كانت تكبدها» بريطانيا في العراق في ظل نظام الانتداب، وضرورة تأسيس حكم وطني بإشرافها وتخطيطها[٣٣].

مع ذلك توالت انتصارات الثوار وامتدت تأثيرات الثورة من الفرات الأوسط إلى ديالى، بعد فشل القوات البريطانية بالتصدي لها، باعتراف ويلسن نفسه الذي أكد بأنه «استعداداتنا العسكرية فعالة أكثر مما كان عليه، إلا أنها لم تستطع الصمود بوجه الثوار الذين كبدوا القوات البريطانية خسائر فادحة»[٣٤].

والغريب في الأمر أن ويلسن حدد نطاق الثورة في المناطق الشيعية حصرًا، بعدما حمل المرجعية الدينية مسؤولية الثورة، ونيتها إقامة دولة إسلامية بمساندة شيوخ العشائر الطامحين للحكم على حد وصفه، مناقضًا نفسه حينما ذكر أن أحداث الثورة امتدت من شمال العرق إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه، رغم تركزها في مناطق الفرات الأوسط[٣٥]، وما يؤكد ذلك الحركات التي قامت في جميع مناطق العراق، سيما في لواء الدليم التي أدت إلى مقتل الحاكم العسكري لجمن على يد الشيخ ضاري، وامتداد الثورة إلى سامراء وعانة وقيام العشائر هناك بتفويض الإدارة البريطانية في تلك المناطق[٣٦].

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

مع ذلك كله أنكر لونكرك الانتصارات الباهرة التي حققها الثوار، وأشاد بالمجهود الحربي البريطاني والقوات التي تم جلبها من الهند لقمع الثورة، والقيام «ببعض الأفعال المؤسسات» في الوقت نفسه «دللت على البسالة العسكرية» للبريطانية، مناقضًا نفسه مرة أخرى حين قال: أن عملية كبح جماح الثورة احتاجه إلى « بضعة شهور من الجهود العسكرية البريطانية المضنية»[٣٧].

ولا نجافي الحقيقة إذ قلنا، أن ويلسن والكتاب الغربيين يصورون الانتصارات العسكرية التي حققها الثوار، سيما في الفرات الأوسط، بأنها استغلال لحالة السلام والاستقرار التي شهدتها تلك المناطق، متغاضين عن ضعف القوات البريطانية وانخفاض تخصيصاتها المالية وتجهيزاتها العسكرية، بفعل تأثيرات الحرب العالمية الأولى وتدهور الاقتصاد البريطاني، مستهينين بقوة الثوار وحزمهم العسكري في الهجوم على القوات البريطانية إينما وجدت، وفق سياسة المباغتة وفتح الجبهات المتعددة[٣٨].

ومهما يكن من أمر، فقد استخدمت بريطانيا شتى أساليب البطش والتنكيل والقوة العسكرية ضد الثوار، وتمكنوا خلال أشهر قلائل من قمع الثورة عسكريًا في تشرين الأول ١٩٢٠، بعد عودة برسي كوكس إلى العراق لإدارة الأمور وأعادتها إلى نصابها وإجراء مفاوضات مع أقطاب الحركة الوطنية في العراق، تمخض عنها أنهاء الثورة والتوجه إلى تأسيس حكومة وطنية مستقلة، تحدد طبيعة العلاقة بين العراق وبريطانيا[٣٩].

مقارنة تاريخية بين الرؤية الغربية والعراقية للثورة

قبل الشروع بهذهِ المقارنة التاريخية يجب الإشارة إلى أن الشعب العراقي وجميع المؤرخين والباحثين والكتاب العراقيين، أطلقوا على الأحداث التي اندلعت عام ١٩٢٠ في العراق بـ «ثورة العشرين»، وهناك مجموعة من المصادر الرصينة التي يمكن الرجوع إليها وفي مقدمتها كتاب عبد الرزاق الحسني « الثورة العراقية الكبرى «، الذي قدم فيه شرحًا مفصلًا ودقيقًا جدًا، لتلك الأحداث، واعتمد في كتابه على وثائق ثورة العشرين والوثائق البريطانية بالدرجة الأساس[٤٠].

من جانب آخر استخدم الباحثين العراقين مصطلح الحركة الوطنية، في إشارة لقوى الثورة والعناصر المشاركة فيها، سواء كانت قوى شعبية من فلاحين وعمال، أو قوى دينية، أو برجوازية وطنية، إذ أن اصطلاح الحركة الوطنية يشمل جميع تلك القوى المناهضة للسيطرة الاستعمارية البريطانية أو الطامحة إلى تحقيق استقلال العراق تحت المظلة البريطانية، بمعنى آخر جميع القوى التي قدمت رؤية لتحرير العراق بشكل أو بآخر[٤١].

على العكس من ذلك نرى أن الكتاب والباحثين والمؤرخين الغربيين سيما البريطانيين، وسموا أحداث ثورة العشرين بعدة أسماء ما بين «قلاقل» و «اضطراب» إلى «التمرد»، فضلًا عن ذلك وصفت الحركة الوطنية بأسوأ الصفات واتهمت بالتخريب والسرقة والنهب، وأيضًا وضعت القوى الشعبية

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

أحيانًا بـ«المتطرفين» وهم المعارضين لها، أما الذين يؤمنون بالمساعدة البريطانية لتحرير العراق، أطلقوا عليهم بـ«المعتدلون»، فيما سمت تلك المصادر، سيما ويلسون ومس بيل قوى الثورة الشعبية بـ«الرعاع»، المسيطر عليهم من القوى السياسية[٤٢].

والملاحظ هنا أن الدراسات التاريخية الغربية لثورة العشرين والاتجاهات الوطنية في العراق، لم تتطرق بشكل واضح للنضال الوطني، فضلًا عن ذلك تبنت بشكل صريح التوجهات الاستعمارية لبريطانيا بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠، مما ولد ظلمًا لنضال الشعب العراقي وللنتائج المتحققة من ثورة العشرين[٤٣].

أما بشأن المستشرقين السوفييت، فقد رأوا بأن أحداث صيف عام ١٩٢٠ في العراق، ما هي إلا انتفاضة وطنية عامة وليست ثورة، وبهذا الشأن رأى الاستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد: بأن «الثورة يجب أن تؤدي إلى تحقيق تغيير جذري في القاعدة والقمة»[٤٤]، ولا شك بأن أحداث ثورة العشرين أحدثت ذلك التغيير في العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق، مما يؤكد بأنها ثورة وطنية.

وفي الأحوال كافة، اختلفت الرؤية الغربية كثيرًا على الرؤية العراقية لتقييم أسباب الثورة وبواعثها، رغم الالتقاء في بعض النقاط الجوهرية لأسباب الثورة، لكن بتقييمات مختلفة، ونجد ذلك واضحًا في رسائل المس بيل، التي رأت في أن توافق شهر رمضان الكريم مع أحداث الثورة في حزيران ١٩٢٠، أحد تلك البواعث، يومها، قالت أنها تخشى «ألا يمضي شهر رمضان دون اضطراب أو قلاقل»، محذرتًا من الاجتماعات التي أقامها السنة والشيعة في جوامعهم، مؤكدتًا بأنها اجتماعات سياسية وليست دينية[٤٥].

لقد غمط البريطانيون حق العراقيين في الاستقلال والحرية وباطلاقهم على ذلك الحراك الثوري الطبيعي بـ«التمرد»، وإصرار بعض الباحثين الغربيين أن ثورة العشرين كانت «رد فعل رجعيًا شرقيًا على الحضارة الغربية» أو «نتيجة عوامل جانبية كاختلاف الدين والتقاليد وجهل الموظفين البريطانيين للغة العربية»، وأيضًا «تفسير خاطئ لمفهوم الانتداب»[٤٦].

ثمة حقيقة تاريخية لا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال، إلا وهي تمسك العراقيين بموروثهم الحضاري والفكري والديني، ورفضهم للسياسة البريطانية المخالفة للإسلام، ومحاولاتها لنشر «السفور والخلاعة والخمور» لتدمير الشباب، والنيل من تآزر العشائر العراقية مع المرجعية الدينية، التي تمثل تلك القيم الدينية والاجتماعية التي يحترمها الشعب العراقي بمختلف طوائفه[٤٧].

في السياق نفسه رأى المؤرخ الأمريكي هـ. أف. فوستر، أن سبب الثورة يكمن في عدم التزام بريطانيا بمبادي الرئيس الأمريكي ولسن التي

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

تبناها ذوي الاتجاهات اليمنية في الحركة الوطنية العراقية، كما أشار إلى أن الثورة لم تكن سوى «رد فعل لتذمر الرجعية في الشرق من الحضارة الغربية»[٤٨].

لا يعني ذلك بالضرورة عدم وجود تيار من «المعتدلين»، من الذين سعوا إلى تأسيس إدارة عربية في العراق، سيما بين صفوف القوميين، الذين «قبلوا بالمساعدة أو التوجيه البريطاني»، بكلمات أخرى أكثر وضوحًا أن العراق قد شهد بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠ ولادة تيار وطني من أحزاب وشخصيات كان يهدف إلى استقلال وتطوير العراق تحت المظلة البريطانية وبمساعدتها، في الوقت نفسه شارك هذا التيار المعتدل في الثورة، لكنه استهجنت بعض التصرفات «المتطرفة» أو «المتشددة»، ورغب في تحالف عراقي – بريطانيا يهدف بالدرجة الأساس إلى استقلال البلاد[٤٩].

لم يبتعد لونكرك عن أقرانه كثيرًا، إذ أكد في كتابة «العراق منذ ١٩٠٠ حتى ١٩٥٠»، أن السيطرة البريطانية على العراق «أدت إلى تقدم كبير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية» في البلاد، رغم الأخطاء التي أرتكبتها الإدارة البريطانية في البلاد[٥٠]، وهو أمر لا يمكن إنكاره، فقد أدت السيطرة البريطانية إلى تطوير العراق، لكن بحسب توجهاتها الاستعمارية.

وهنا تعترف مس بيل بتجاهل بريطانيا لطبقة العشائر العراقية، وتعين شيوخ عشائر تابعين لها، سهل لها مهمة السيطرة على العراق، مما أدى إلى أيجاد «طاغية مصغر تنعكس أفعاله على الحكومة التي تعضده»[٥١]، وهذا ما ظهر جليًا في أسباب الثورة وأحداثها، إذ تم طرد الكثير من هؤلاء التوابع من شيوخ عشائر وغيرهم من الموالين لبريطانيا[٥٢].

وفي هذا الشأن، سوغ لونكرك تلك الأسباب، بأنها عوامل طبيعية يعود منها إلى عهود عاشها العراق من» التمسك بالقبلية والمقاومة « و» حب الغزو والنهب « فضلًا عن «تحريض مجتهدي الشيعة من أصحاب المصالح الذاتية»، وأيضًا «مطامع المشيخة المحلية أو التنازع على المشيخة» و «الامتناع عن دفع الضرائب» و «والنفور من الحكومة، كما يعود البعض الآخر من هذهِ العوامل إلى الحماسة والدعاية القومية الممولة تمويلًا حسنًا لهذهِ الغاية»[٥٣].

ولا نجافي الحقيقة إذ قلنا، أن بعض الآراء التي قدمها لونكرك صائبة إلى حد ما، فإن طبيعة العشائر العراقية الرافضة لدفع الضرائب والتسلط الحكومي عليها، متأصلة في تاريخها، أما العامل القومي والوطني فقد كان له دور واضح جدًا في مسار هذهِ الثورة وعلاقاتها العشائرية والدينية، إذ تمازج هذا التيار مع المنطلقات الدينية والشعبية، بضرورة تأسيس إدارة عربية، تحت قيادة زعيم عربي يحكم العراق، ما يؤكد أصالة فكرة القومية العربية، كونه أغلبية الشعب العراقي هم من العرب[٥٤].

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

إن إدراك العراقيين للأفكار والمبادئ التحررية لا يعني بأي شكل من الأشكال، خضوعهم للتيارات الشيوعية، ويناقض تحليلات ويلسن لأسباب الثورة التي أكد بأن أحد أسبابها تأثير البلشفية و «المتطوعة والمأجورين في البلاد»، وأن الثوار كانوا يحصلون على مساعدات «جواسيس من أمم أخرى»، وذلك أن البلاشفة الروس كان لهم دور في مسار الثورة وقدموا الهدايا والأموال إلى الثوار، ليس فقط من أجل دحر بريطانيا وحسب، بل من أجل أنهاء الأقطاع أيضًا، مما دفع الوطنيين إلى التخلي عن الثورة، بسبب عدم قدرتهم على مواجهة شيوخ العشائر(٥٥).

أعطت تلك التصورات البريطانية المبررات الموضوعية للكتاب السوفيت، سيما كوتلوف الذي أكد على أن الوضع الدولي كان له أثر واضح على ثورة العشرين. إذ رأى أن فشل الحلفاء في التدخل في روسيا السوفيتية، وتقدم الجيش الأحمر في المناطق المتاخمة للعراق في إيران وأذربيجان وتأسيس جمهورية شيوعية فيها، فضلًا عن تطور الحركات التحريرية في إيران التي قدمت دعمها للشعب العراقي(٥٦). وهذا الأمر ليس دقيق بالمرة، إذ أن بريطانيا كانت تحكم سيطرتها على العراق وإيران، فضلًا عن واقع الشعب العراقي الرافض للفكر الماركسي، وتطبعه بالطابع العربي الإسلامي، فضلًا عن ذلك انصراف روسيا السوفيتية آنذاك بالاهتمام بإصلاح أمورها وتحصين جبهتها الداخلية قبل الخوض في دعم الحركات التحريرية حول العالم.

ومهما يكن من أمر، فقد تجاهلت الإدارة البريطانية الأسباب الحقيقة للثورة، رغم أن وكلائها في العراق قدموا تقارير مهمة حول أوضاع الشعب العرقي، إلا أنهم كمستعمرين تغاضوا عنها، وبدل ذلك اهتموا بأسباب غير موضوعية لا تساعد على حل مشكلات العراق وتلبية مطالب أبنائه، كان من بينها، أن بقايا الكوادر الإدارية من الدولة العثمانية والحكومة العربية في سوريا، كانت أحد أسباب الثورة بسبب الأجحاف الذي مارسته بريطانيا بحقهم، محاولة حالة من الشعور بالغبن والاقصاء لديهم ودفعهم إلى إشعال الثورة(٥٧).

وينبغي أن تشير هنا إلى مؤشر هام في كتابات الباحثين البريطانيين سيما مس بيل وويلسن، إلا وهو وسم الثوار الذين لبوا نداء المرجعية بـ«المتطرفين»، والذين تجمع حولهم العناصر الساخطة والرجعية، ومحاولة النيل من المرجعية الدينية في النجف، التي رأت مس بيل أنه هدف الثورة هو «تأسيس دولة إسلامية»، عمادها «المجتهدين الشيعة» و «تسير بموجب الشرع الشعبي»، لذلك لم يترددوا في إعلان الجهاد، وتبقى هذهِ المتناقضات في الرؤية الغربية واضحة، فقد ذكر ويلسن أن رجال الدين في النجف وكربلاء والكاظمية، مع استثناء بسيط، كانوا «معادين بصراحة للحكومة الدنيوية من أي نوع كانت»،

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

مبديًا استغرابه من ذلك، سيما بعد تصاعد الواردات المالية للعتبات المقدسة وتزايد أعداد الزائرين لتلك المراقد، وتوفير بريطانيا للجوانب الخدمية والصحية[٥٨]، ومع ذلك كله يقوم المرجع الأعلى بأرسال رسالة إلى ويلسن يؤنبه فيها على اعتقال الوطنين العراقيين ونفيهم إلى الخارج[٥٩].

والأغرب من ذلك التناقض الذي صرحت به المس بيل على الميرزا محمد رضا إبن المرجع الشيرازي مع رفاقه ونفيهم إلى جزيرة هنجام، وعدته أحد أسباب الثورة، وأنه أطلق صراحة بعد شهر من الاعتقال، بعدما توسطت الحكومة الإيرانية له، رغم أنها أي مس بيل أكدت أن اسم الميرزا كان موجودًا في برقية أصدرها الشيوعيون في رشت، وتضمنت أن الميرزا يعمل على نشر الدعاية البلشيفية في كربلاء[٦٠]، وهذا تناقض كبيرة لا يمكن تصوره، فمن جانب هو إبن المرجع الشيعي الأعلى وحلقة الارتباط مع القوى الوطنية وتوجهاته الدينية والسياسية معروفة، ومن جانب آخر كانت بريطانيا مسيطرة على أوضاع إيران السياسية، وضد التحركات الشيوعية فيها، فكيف سمحت له بريطانيا بالذهاب وكيف قامت إيران باستقبال شيوعي آخر.

وبهذا الشأن يوضح عبد الرزاق الحسني في كتابه «الثورة العراقية الكبرى» موقف المرجع الشيرازي من الثورة وأحداثها، بعد أن بدأ الحراك الثورة و «أنباء توكيل البغداديين» طلب المرجع من القوى الوطنية والشعبية «الاجتماع والقيام بمظاهرة سلمية» و «المحافظة على الأمن» وتقيم مطالبهم بـ»حقوقهم المشروعة» بالاستقلال والحرية، فضلًا عن ذلك بين المرجع الأعلى رأيه في شكل الحكومة التي يرنوا إليها العراقيون بعد الاستقلال، فقد أكد في فتواه بأن «ليس لأحد من المسلمين أنه ينتخب ويختار غير المسلم للأمارة والسلطنة عن المسلمين»[٦١]، مما يفند جميع مزاعم الغربيين أن المرجع الأعلى كان له ميول بتأسيس حكم إسلامي أو السيطرة على مقاليد الحكم، أو أن اعتقال ابنه سببًا في إعلان فتوى الجهاد.

على أية حال استخف البريطانيون في كتاباتهم، سيما لونكرك وويلسن ومس بيل بالشعب العراقي وتركيبته الاجتماعية والثقافية، فضلًا عن الانتقاص من ثورته عام ١٩٢٠، ونجد في كتابات المس بيل أنها تقول أن ويلسن «خيل له أنه يتعامل مع الشعوب الهندية»، وتمكن بقسوته من «احتواء القلاقل» التي قامت بها العشائر، مقدمتًا وصفًا اجتماعيًا لامعًا للفرد العراقي الذي امتاز بالطيبة والكرم وشدة البأس أما «الصبر والتأني» فهما صفتان مفقودتان في الشعب العراقي[٦٢].

وينطبق الشيء نفسه على لونكوك الذي نعت الثوار والثورة أوصاف عدة، إذ أطلق عليها «الهجمات المحلية المتعطشة إلى سفك الدماء،

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

ونهب المساكن والأموال»، فيما حمل الثوار مسؤولية «ضياع العمل الذي كرس لمدة سنتين» من أجل بناء العراق، بسبب الساسة وزعماء الدين المسؤولين عن تأجيج الأوضاع[٦٣].

وتنكر الصورة نفسها عند ويلسن أيضًا، الذي حمل العراقيين مسؤولية عدم إدراك أهمية دفع الضرائب الهادفة إلى تعديل نظام الري وتحسين الزراعة، التي لم يعرها العراقيين اهتمام، سيما مخاطر الفيضانات التي رأوا فيها أنها من «عمل الله»، ولم يساعدوا البريطانيين في درئها[٦٤].

جاء الرد المناسب على هذا الكلام من المؤرخ الأمريكي ف. و. أيرلندا، الذي أكد أن سوء إدارة الحاكم البريطاني أرنولد ويلسن وتجاهله الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة، التي عانى منها الشعب العراقي في ظل الإدارة البريطانية، هي السبب في إندلاع ثورة العشرين، رغم أشادته بدور بريطانيا في بناء العراق السياسي[٦٥].

وهذا ديدن المستعمرين، فهم دومًا يحاولون النيل من خصومهم بشتى الطرق، حتى إذا وصل الأمر للكذب والتضليل للتأثير على الرأي العام، إذ نجد مقالات نشرها كوكس وغيرها من المستعمرين في صحيفتي الـ«تايمز» «semiT" و "أنديانات ديلي تايمز" yliaD anaidnI semiT»" أكدوا فيها عدم إدراك العراقيين لمفهوم الانتداب، واتهمت "التايمز" العرب أن الفوضى من اطباعهم كما امتازوا بعدم ثقتهم بأي سلطة، سيما وأنه من صفات سكان العراق "التعصب الأعمى" و "خير دليل اندلاع الثورة في شهر رمضان"[٦٦]. على حد زعمها. ولم يعوا أن مجرد تداول أخبار الثورة وأحداثها هو نصر إعلامي وإنساني، لأنه مثل دعوة للمنصفين للبحث والتدقيق عن تلك الأخبار التي نشرتها الصحف.

والجدير بالإشارة هنا إلى أن برسي كوكُس أدرك خطورة الوضع في العراق، وأيقن أن المخرج الوحيد لبريطانيا للتخلص من خسائرها، يكمن في تأسيس حكومة وطنية في العراق، وإيفاء بريطانيا لوعودها للعرب أثناء الحرب العالمية الأولى، على أن تكون هذهِ الحكومة خاضعة لبريطانيا في الأحوال كافة، من دون الحاجة إلى استقدام قوة عسكرية أخرى أو المباشرة بجلاء القوات البريطانية من العراق، بل الخوض في هذا «الحل الوحيد الذي نعوض بهِ عن إخلاء البلاد»[٦٧]، بمعنى أدق تشكيل حكومة خاضعة له.

وهذا ما حصل بالفعل، فقد تأسس حكومة عرقية مؤقتة برئاسة عبد الرحمن النقيب، تمهيدًا لتأسيس المملكة العراقية بزعامة فيصل إبن الحسين في ٢٣ آب ١٩٢١، والتي تمثل أهم مكتسبات الثورة وأحد أهم أهدافها.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

الخاتمة

لم تـع بريطانيا المتغيرات الدوليـة والمحلية التي عاشـها العراق بـين عامـي ١٩١٨ و١٩٢٠، إذ أن خيانـة بريطانيـا للوطنيـين العـرب وتنصلهـا عـن وعودها بموجب مراسـلات حسـين – مكماهون، وانهيـار الحكومـة العربيـة في دمشـق، فضـلًا عـن ذلك اسـتغلال العراق اقتصاديًـا لترميم اقتصادها المتهالك بسـبب الحرب العالمية الأولى، والانقلاب الاجتماعي الذي أحدثته في سـلم المشـيخة القبلية، الذي رافقه وعي سياسي وثقافي للخطط البريطانية.

ولا يمكـن بـأي حال من الأحـوال أنكار دور بريطانيـا في تخليـص العـراق مـن براثـن السـيطرة العثمانية، لكنها في الوقت نفسـه، أوجدت سـيطرة اسـتعمارية جديـدة لم يألفهـا العراقيـون، أثـارت امتعاضهـم ومخاوفهـم مـن أي إصـلاح يمكن أن يعزز سـيطرتها على العـراق، رغم وجـود مجموعة من الوطنيين تمسكت بالتجربة البريطانية وصدقت وعودها.

ومهـما يكن مـن أمر، فقـد تكاملـت الظروف الموضوعية للثورة، وهيأة بريطانيا الأرضية المناسبة لانطلاقهـا، في ظـل سياسـية قمعيـة اسـتغلالية، تقوم أساسًـا عـلى احتقار مطالـب العراقيين الذين وصفتهـم «بالرعـاع» و «المتطرفـون» وغيرهـا من الأوصـاف والنعـوت التـي عـبرت عـن الرؤيـة البريطانية للحركة الوطنية العراقية.

إن إنكار الشيء لا يعني بالضرورة عدم وجوده، إذ أن إصرار الباحثـين الغربيـين، سـيما البريطانيين منهم، على عدم تسـمية الأحـداث التي اندلعت في صيـف ١٩٢٠ بالثورة، لا يلغي الأسـاس الفكري والثوري والفلسـفي الذي انطلقت منه الثورة، ولم تكـن تصوراتها لتلـك الأحداث سـوى تصورات منقوصة تحتاج إلى دراسة موضوعية.

في المقابـل كان للقـوى الوطنيـة والشـعبية والدينيـة رأي مغايـر طرحـه الباحثـون العراقيون بـكل مصداقيـة وتجـرد في كتاباتهم، التـي اعتمدوا في أغلبهـا عـلى الوثائـق البريطانيـة التـي وثقـت أحداث الثـورة وبواعثهـا الحقيقة، حتـى أننا نكاد لا نجـد باحث عراقي واحـد لم يعتمد على المصادر الغربيـة والوثائق البريطانية في كتابة أحداث الثورة وتاريخها.

وينبغي أن نشـير هنا إلى التقاء الرؤيتين الغربية والعراقية لأسـباب الثورة وبواعثها تكاد أن تكون واحـدة، وعـلى سـبيل المثـار لا الحـصر، موضـوع الانتداب والاسـتقلال وأيضًـا الضرائب وغيرها، كلهـا مواضيـع عالجتهـا كلا الرؤيتـين، لكـن كلًا بحسـب توجهه ومنطلقاتـه الفكرية، التـي أعتمد عليهـا في تحليـل الأحـداث وتفسـيرها، لـذا نجد أن نقـاط الالتقـاء هـي ذاتهـا نقـاط الاختلاف بين الرؤيتين الغربية والعراقية لأحداث ثورة العشرين.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

الهوامش

١. للتفصيل أكثر عن تاريخ العراق تحت السيطرة العثمانية يُنظر: جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص ص٤٨-٥٦.

٢. مس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، كتاب يبحث عن العراق في عهد الاحتلال البريطاني بين سنتي ١٩١٤ و١٩٢٠، ترجمة: جعفر الخياط، طبع بمساعدة من وزارة التربية والتعليم، بغداد، ١٩٧١، ص٤٣٨.

٣. كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، المجلد الأول، الجزء الأول والثاني، ط٢، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الأشرف، ٢٠١٢، ص ص١٨-١٩.

٤. ل. ن. كوتلوف، ثورة العشرين التحريرية في العراق، ترجمة: عبد الواحد كريم، مراجعة: عبد الرزاق الحسني، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٥، ص٦٥.

٥. برسي كوكس وهنري دوبس، صفحة من تاريخ العراق الحديث من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢٦، ترجمة: بشير فرجو، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، د.ت، ص٤٠.

٦. كاظم المظفر، المصدر السابق، ص ص٣٢-٣٣.

٧. ل. ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص١٥١.

٨. أرنولد ويلسن، الثورة العراقية، ترجمة: جعفر الخياط، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧١، ص١٥١.

٩. ل. ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص ص٧٣-٧٥.

١٠. كاظم المظفر، المصدر السابق، ص ص٤٠-٤١.

١١. العراق في رسائل المس بيل، ترجمة: جعفر الخياط، تقديم: عبد الحميد العلوجي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٥٣.

١٢. أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص٨١.

١٣. العراق في رسائل المس بيل، المصدر السابق، ص١٥١.

١٤. أرنولد، ويلسن، المصدر السابق، ص٨٢.

١٥. مس بيل، المصدر السابق، ص٤٤٣.

١٦. أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص ص٩٧-٩٩.

١٧. نديم عيسى، الفكر السياسي لثورة العشرين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢، ص٢٢٠.

١٨. كاظم المظفر، المصدر السابق، ص ص٣٤-٣٥.

١٩. مقتبس في: كمال مظهر أحمد، ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي، مطبعة الزمان، بغداد، ١٩٧٧، ص ص٢٩-٣٠.

٢٠. كاظم المظفر، المصدر السابق، ص٣٧.

٢١. ستيفين همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠-١٩٥٠، ج١، ترجمة: سليم طه التكريتي، الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٨، ص١٩٩.

٢٢. مقتبس في: ل. ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص١٢.

٢٣. العراق من رسائل المس بيل، المصدر السابق، ص١٣.

٢٤. عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، مؤسسة المحبين، قم، ١٤٢٦ه، ص١٠٩.

٢٥. أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص ص١٠١-١٠٢.

٢٦. عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص٨٨.

٢٧. ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص١٩٧.

٢٨. ل. ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص٥.

٢٩. برسي كوكس وهنري دوبس، المصدر السابق، ص٣٩.

٣٠. مس بيل، المصدر السابق، ص٤٣٨.

٣١. أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص ص١٤١-١٤٣.

٣٢. عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ص١٦٣-١٧٠.

٣٣. برسي كوكس وهنري دوبس، المصدر السابق، ص٤٠.

٣٤. أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص٨٣.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

٣٥. المصدر نفسه، ص ص١٤٧-١٤٩.

٣٦. ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٢٠٤.

٣٧. المصدر نفسه، ص٢٠١.

٣٨. يُنظر: أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص ص

٣٩. عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ص٢٤٩-٢٥٠.

٤٠. للتفصيل أكثر يمكن الرجوع إلى: عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص س ١٦٧-١٦٨.

٤١. للتفصيل أكثر يُنظر: المصدر نفسه، ص١٣-٢٧.

٤٢. للتفصيل أكثر يُنظر: أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص ص٨١، ٩٨؛ العراق من رسائل المس بيل، المصدر السابق، ص٤٥٨.

٤٣. مقتبس في: ل. ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص١٤.

٤٤. مقتبس في: كمال مظهر أحمد، المصدر السابق، ص٢٨.

٤٥. العراق رسائل المس بيل، المصدر السابق، ص١٥١.

٤٦. مقتبس في: كمال مظهر أحمد، المصدر السابق، ص ص٢٩-٣٠.

٤٧. فريق المزهر آل فرعون، الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي يشكل الحكومة الإسلامية في العراق (خلاصة كتاب الحقائق الناصعة في الثورة الإسلامية سنة ١٩٢٠)، مطبعة مهر، النجف الأشرف، ١٤٠٤هـ، ص٧.

٤٨. مقتبس في: ل. ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص ص١٢-١٣.

٤٩. وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص٣٥٧-٣٥٩.

٥٠. مقتبس في: ل. ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص١٣.

٥١. مس بيل، المصدر السابق، ص٤٣٨.

٥٢. عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص١١٣.

٥٣. ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص١٩٩.

٥٤. وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ص٣٥٩-٣٦٣.

٥٥. أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص ص١٤١، ١٤٣.

٥٦. ل. ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص ص١١١-١١٢.

٥٧. كاظم المظفر، المصدر السابق، ص٣٨.

٥٨. أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص ص٥٧، ٨٣؛ العراق رسائل المس بيل، المصدر السابق، ص٤٣٩.

٥٩. عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص٨٨.

٦٠. مس بيل، المصدر السابق، ص٤٤٥.

٦١. عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص٣٥، ٩٧.

٦٢. مس بيل، المصدر السابق، ص١١٥.

٦٣. ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٢٠٠.

٦٤. أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص١٥١.

٦٥. كاظم المظفر، المصدر السابق، من ص٤٠-٤١.

٦٦. مقتبس من: كمال مظهر أحمد، المصدر السابق، ص ص٦٨-٦٩.

٦٧. برسي كوكس وهنري دوبس، المصدر السابق، ص٤٠.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

Twentieth Revaluation Between Iraqi-Western Visions

Assistant Professor Dr. Qasim Abdul-Amir Wasim

Al-Mustansiriya University / College of Education

Abstract

Iraq was under the Ottoman occupation for more than four centuries, whose people suffered from bad political, economic and social conditions and the political positions were sold at the highest price. Also, agriculture and trade witnessed a clear deterioration due to bad Ottoman administration, and epidemics, diseases and repeated floods of the Tigris and Euphrates rivers spread, resulting in poverty and backwardness in the fields of health and education, it was accompanied by the phenomenon of looting of the capabilities and human capacities of Iraq for the second State.

Under these circumstances, Iraq witnessed politically and militarily transfer during the World War I (1914-1918) and beyond, after the British forces entered Iraq and completed its occupation of the country and held Muders Agreement at the end of 1918 with the Ottoman State. Iraq was under the British mandate under the Treaty of Versailles in 1919 which placed the property of the defeated state, especially the Ottoman State, in the hands of the victorious states as Britain.

So, the entrance of Britain forces to Iraq was to start a new stage in its political history, where the British claiming that they came as editors, not conquerors, but the subsequent events showed the colonial intentions of Britain, which do not differ greatly from its predecessor which are aimed to deplete the capabilities of Iraq and keep it subject to it. This is violated its promises to the Arabs of freedom and independence, as well as its repudiation. On the terms of the US president, the role and whoever grants peoples their independence.

Therefore, a national revolution broke out in Iraq in 1920 because of the bad British administration and the failure to keep promises and its unfair economic policies. The issue of arrest of Sheikh Shaalan Abu Al-Awn, the Sheikh of the Al-Tawalim clan came, when his clan attacked the government palaces in Rumaytha and released the detainees. This is led to start

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

the revolutionary events after the religious scholar blessed in the time of Mr. Muhammad Taqi Al-Shirazi to cover all regions of Iraq.

It should be referred here to the structure of the Iraqi revolution in 1920, as the events refer to the union of the people, including farmers, workers and bourgeois with the religious authority to cover all the Iraqi people with different spectrums and components. Moreover, the revolution was characterized by political, military and social organization, as Najaf and Baghdad were the center of administration to the events of the revolution. Despite the fact that most of its prominent military events were in the middle Euphrates after the people of the Iraqi clans (Fala and al-Mukwar) were able to achieve great victories over Britain. Moreover, there was coordination between the revolutionaries and they had a press and spokespersons for the revolution. This was a new stage in the history of Iraq and its contemporary political construction.

The twentieth revolution shaken the British presence in Iraq and threatened its survival, which prompted it to change its policy in Iraq , start changing the British ruler in Iraq , call Percy Cox to address the situation that ended the revolution militarily and politically , foundation Iraqi government , appoint Faisal Ibn Al-Hussein as a crowned king , legislate the constitution , meet a British- Iraq agreement and organize the relationship between them.

In any case, it is not possible to deny Britain's role in ridding Iraq of Ottoman control or establishing the contemporary Iraqi State to enter Arab systems and methods in state administration. At the same time, the leadership role of the national, popular, and religious forces that participated in the twentieth revolution cannot be ignored and forced Britain to change its policy in Iraq, and that the Iraqi revolution has spread its influence to the regional environment and its echoes have reached globalization.

Of course, the British military and politicians had a prominent role in recording the events of the revolution and its repercussions who are worked in the British Administration or its military forces, which represented in its entirety documentary material that most Western researchers relied on. The matter was classified the most of the western literature, especially the British, in contrast to the events of the revolution. The most of the Brit-

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

ish memoirs in Iraq Like the memoirs of Miss Bell or Wilson and others, the events of the revolution were called “rebellion” or “insubordination”, and in the best cases “disorder” ignoring patriotism for Iraqis in freedom and independence. Moreover, the Soviet orientalists ’perception was not particularly accurate in analysis of the course of the revolution, despite that they are recognized as it is a national editorial revolution, but they are mostly focused on the working class of agricultural and industrial. The of October Revolution 1917 in Russia effected on the path of the events of the revolution and this perception is also not accurate.

Otherwise , the Iraqi patriots and researchers had a long track in record the course of the revolution and its events, such as Muhammad Mahdi Al-Basir, Abdul-Razzaq Al-Hassani, Mazhar Al-Pharaon and others who are participated in the revolution or published his memoirs or write a thousand books on the revolution in which they are clearly indicated the role of the popular national forces in the revolution as well recording these acts and the political, military and social changes.

Hence, the importance of the topic comes as the persistence of the British and Western researchers to deny the Iraqi national right to the twentieth revolution and the accomplishments achieved thereafter, as well as the position of the Iraqi authors and researchers in highlighting the acquired national rights and the popular and religious role and its impact on the course of the revolution. This research aims to shed light on the vision of the western revolution and the Iraqi visions according to the methodology of its analysis and making a historical comparison of those analyzes.

The topic divided into an introduction, three chapters and conclusion. The first chapter talked about the events that are led to the revaluation and the stand of western, the second chapter dealt with the twentieth revolution between Iraqi-Western visions, the third chapter was the historical comparative between the Iraqi-Western visions to the revaluation results and its events and the conclusion included the most results that the research obtained.